

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ) الممتحنة: ٤

التولي والتبري في التاسع من ربيع الاول

الحديث عن التبري تارة يكون من وجهة نظر دينية، اي : ما الذي تدل عليه الآيات أو الروايات؟ وهو بحث واسع وتدلل عليه المئات بل الألوف من الآيات والروايات، لكن في هذه العجالة نطرح القضية من وجهة نظر عقلية.

التبري من المستقلات العقلية ومن الفطريات

فنعقول: ان التبري هو من المستقلات العقلية ، كقبح الظلم وحسن العدل ، وحسن رد الوديعة، ونظائرها ، فان التبري من الشر ، او التبري من الشرير ، كالإرهابي مما يستقل به العقل وذلك بعد ثبوت الموضوع و أن هذا شر وأن ذاك شرير. كما ان التولي للخير وللأخيار هو من المستقلات العقلية ايضاً،
بل نقول : إن التولي والتبري هما فطريان، اي من الفطريات، حتى في الحيوان. قال تعالى (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)

فاننا نشهد أن الله قد غرس التولي للأمر ، في هذا الفصيل أو ذاك الرضيع، كما غرس التبري من ذلك العدو المهاجم لهما في نفس الحيوان كالانسان تماماً،

فالتبري إذن من الأمور الفطرية البديهية، إنما الخلاف في المصاديق، اي نتبرأ ممن ؟ ذاك يتبرأ من زيد ، وأنا أتبرأ من عمرو، ذاك يتبرأ من (الكذا) وأنا أتبرأ من الظلم وهكذا ، فالنقاش انما هو في المصاديق.
والا فان التبري والتولي بما هما أمران فطريان.

معنى التبري : رسم الحدود الفاصلة

فماذا يعني التبري ؟

بتعبير موجز دقيق : التبري يعني رسم الحدود الفاصلة ، فداخل الحد هو مساحة التولي وخارج الحد هو دائرة التبري ، اي أن ترسم حداً بينك وبين غيرك اما من هو هذا الغير؟ فإنه بحث آخر.

ان والمسلم يرسم حداً بينه وبين الغير، ويقول كما في الآية الشريفة {إنا برآء منكم قد كفرنا بكم} وهو حد ، وقولنا : (لا إله إلا الله) مركب من التولي اي نتولى الله، و التبري اي نتبرى من أي شيء آخر يُعبد من دون الله.

فالتبري يعني رسم الحد سلبا في مقابل الجانب الإيجابي .

والتبري ثم ان التبري أمر جرى عليه بناء العقلاء في كل الأمم .

فلو لاحظنا الحدود بين الدول .. فماذا تعني ؟ ان الحدود بأي معنى كانت ، فهي نوع من التبري ، فان الدول الآن كلها تفرض حدودها ، وذلك يعني انها تتبرأ من غيرها: أنت مواطن فلك حقوق، أما غير المواطن فلا حقوق له ، نتبرأ منه، فلا حق له أن يدخل بلدنا إلا بما يسمونه (الفيزا) ، ونظائرها

التبري أمر بنى عليه العقلاء حياتهم . فإن الإنسان عندما يبني بيته ماذا يعني ذلك ؟ يعني انه يتولى أولاده وأهله ، ويتبرأ من غيرهم، فلا حق للغير في ان يدخل داري او يأخذ احدى ممتلكاتي بدون إذني ، ولو فعل فإنه مجرم ، اذ هذا ملكي لا حق لك في أن تأتي وتتزعجه مني بقوة، أتبرأ من فعل من يريد أن يغضب ممتلكاتي. كذلك العشائر مبنية على التولي والتبري، والأحزاب مبنية على التولي والتبري، والدول، الحضارات، الأمم، والأفراد،

التبري فطري والنقاش في اتجاهه والمصاديق

التبري أمر فطري، إنما الخطأ في المصاديق، أتبرأ من ماذا؟ ذاك يتبرأ من الإسلام فهو مخطئ، وأنا أتبرأ من الكفر. فأصل التبري لا شك فيه، إنما التمصدق قد يحدث فيه كلام ، وحول ذلك هناك بحث طويل نكتفي بهذا المقدار.

إذن: التبري من المستقلات العقلية ، وأيضا هو من الأمور الفطرية ، فلا يخافن أحد من أن نطرح على الساحة أن من فروع الدين التولي لأولياء الله والتبري من أعداء الله، إذ نقول له: هذا أمر فطري، انت أيضا حياتك كلها مليئة بالتولي والتبري، لكن اتجاه التولي قد يختلف ، واتجاه التبري قد يختلف. فالاشتراكي له تبري وتولي، والشيوعي له أيضا تولي وتبري، والديموقراطي ايضا له تولي وتبري؛ إذ يتبرأ من الدكتاتورية مثلاً، وهكذا .
وعليه : فإن فإتجاه التولي والتبري يختلف لكن اصله والجامع لا كلام فيه ، والكل يعتبره من البديهيات، والخلاف والنقاش كله في المصدق،

وبعبارة اخرى : لا تقل لي لم تتبرأ، بل قل لي: ممن تتبرأ ولم؟ أما التبري فهو أمر عقلائي، فطري.

وهنا نسأل : هل من الصحيح أن نتبرأ من الأول والثاني؟ هذا بحث جيد هام وقد بنيت عليه أركان المذهب ، ف(الغديري) لم كتِّب؟ لهذه الجهة ، وكذلك (النص والاجتهاد) لم كتِّب؟ كتب لهذه الجهة وكذلك (ليالي بيشاور) وغيرها ومن قبل حوارات واحتجاجات المعصومين (عليهم السلام) المبثوثة في نهج البلاغة والاحتجاج وغيرها نعم فليأتوا ويتباحثوا لا مانع من ذلك ، لكن لا يستشكلوا على أصل التبري ، فليستشكلوا في المتبرأ منه، هل هو جدير بأن يُتبرأ منه ام لا ؟ تعالوا لنبحث عن ذلك ولا إشكال ابداً فإن ساحة الحوار مفتوحة.

وهذا البحث كما ذكرنا يحتاج إلى تفصيل من القول لكن هذه العجالة وهذه الإشارة تكفي الان .

وبمناسبة حلول التاسع من ربيع الاول ، ننقل كلام صاحب الجواهر في يوم التاسع من ربيع، ثم ننقل شطراً من

رواية احمد بن اسحاق القمي الشهيرة عن الامام العسكري (عليه السلام)

كلام صاحب الجواهر عن التاسع من ربيع الاول

يقول صاحب الجواهر في كتاب (الطهارة)^١ ، في الأغسال: وأما الغسل في التاسع من ربيع الأول فقد حُكي أنه من فعل أحمد بن اسحاق القمي^٢، معللا له بأنه يوم عيد ، لما روي ما اتفق فيه من الأمر العظيم الذي يسر المؤمنين ويكيد المنافقين.

ثم يقول صاحب الجواهر بعد اسطر: (وقد عثرت على خير مُسندا إلى النبي صلى الله عليه وآله في فضل هذا اليوم، يوم التاسع من ربيع، وشرفه وبركته وأنه يوم سرور لهم عليهم السلام ، ما يحير فيه الذهن ، وهو طويل، وفيه تصريح باتفاق ذلك الأمر فيه)

فتوى اعظم الفقهاء باستحباب الغسل فيه

وعندما نأتي إلى (العروة الوثقى) بحواشيها ، نجد أن صاحب العروة يقول :
(من الأغسال المستحبة، الغسل في هذا اليوم) ، اي يوم التاسع من ربيع الأول والفقهاء الذين لهم تعليقة على هذه العروة لم يعلق أي منهم على ذلك .

أي أن في هذا اليوم، التاسع من ربيع، يستحب للإنسان أن يغتسل ، الفقهاء المذكورة أسماءهم هنا كُثُر، ومنهم: الميرزا النائيني واقا ضياء العراقي والسيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ عبد الكريم الحائري وآل ياسين وكاشف الغطاء و السيد الحكيم، والجواهري والفيروز آبادي، و السيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد البروجردي والكلبيكاني، وآخرون كُثُر لم يعلق أي منهم على هذا الكلام، مما يعني قبول هذا الكلام.

رواية الامام العسكري والامر بالتعبد في التاسع من ربيع الاول

وأما العلامة المجلسي في البحار، فينقل روایتين : إحداهما : عن كتاب الإقبال للسيد ابن طاووس، وهي في المجلد (٩٥) من البحار، صفحة (٣٥١ الى ٣٥٥)، وهو ينقلها بسنده ونصها، وثانيهما : في المجلد (٣١) صفحة (١٢٢) وصاعدا .

وللسيد العم بحث مطبوع حول سند هذه الرواية وجوه وتوثيقها، فراجعوا،
وسنقل الان بعض كلام الإمام العسكري عليه السلام حسب هذه الرواية التي ينقلها أحمد بن إسحاق .
(يقول الإمام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فأوحى الله اليّ جلّ من قائل : يا محمد إني قد أمرت ملائكتي في سبع سماواتي وشيعتك ومحبيك أن يعيدوا في هذا اليوم الذي اهلكته فيه وأمرتهم أن ينصبوا كرسي كرامتي حذاء البيت المعمور ويشنوا عليّ ويستغفروا لشيعتك ومحبيك من ولد آدم يا محمد وأمرت الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق كلهم ثلاثة أيام من ذلك اليوم ولا يكتبوا شيئا من خطاياهم كرامة لك ولوصيك (...).

١ - الجواهر ح ٥ ص ٧٤ (ص ٤٣ طبعة اخرى)

٢ - واذ ينقل الرواية عن الامام العسكري (عليه السلام)

وهذه الرواية توضح أن المقصود من رفع القلم ليس أن المحرمات تتحول إلى محللات ، كلا ، وإنما لا تكتب إلى ثلاثة أيام، فإن تاب فلا تكتب، وإن لم يتب فتكتب، وذلك لعطف (ولا يكتبوا) على (يرفعوا القلم) فإن ظاهره انه عطف تفسيري

ومن المعروف أن الملائكة يمهلون الإنسان لو عصى الى سبع ساعات، فإذا لم يتب بعد سبع ساعات يكتبون عليه الذنب، أما إذا تاب قبل ذلك فلا يكتب عليه شيء

واما الفائدة من ذلك فهي انه لو كتب عليه ثم استغفر يمحي لكنه المحمي غير الذي لم يوجد في الأصل . ومثال ذلك : لو كتبت في دفتر ثم محوت الكتابة فإنه وان محيت لكن آثارها موجودة، ففيه نوع من الحزاة، فإذا في الحالات العادية الى سبع ساعات لا يكتب، أما في هذا اليوم فلمدة ثلاثة أيام الملائكة لا تكتب، اي ان الملائكة يمهلون الناس ثلاثة ايام لكي تستغفر وتتوب و الا كتبوا او سجلوا

تكملة الرواية: (...يا محمد، إني قد جعلت ذلك اليوم يوم عيد لك ولأهل بيتك ولمن تبعهم من المؤمنين وشيعتهم، وآليت على نفسي بعزتي وجلالي وعلوي في مكاني لأحبون^٣ من تعيد في ذلك اليوم محتسبا ثواب الخافقين ولأشفعته في أقربائه وذوي رحمه، ولأزيدن في ماله إن وسع على نفسه وعياله ، ولأعتقن من النار في كل حول في مثل ذلك اليوم الافاً من مواليكم وشيعتكم ولأجعلن سعيهم مشكوراً وذنوبهم مغفوراً وأعمالهم مقبولة)^٤ .

إذن هذا اليوم - التاسع من ربيع الاول - ينبغي أن يتخذ يوم عيد وفرح وسرور، وأن يصل الإنسان فيه إخوانه المؤمنين، وأن يوسع على عياله وأن يفعل ما شوقت اليه الروايات الشريفة، وكما ذكرنا في البداية فإن التبري فطري وهو من المستقلات العقلية إلا أن الطرف الاخر له أن يبحث معنا في مصداقه واتجاهه، وهذا البحث له مجاله الواسع وهناك بحث آخر وهو : ما هي حدود التبري وما هي كيفية التبري؟ وسنتطرق له لاحقاً بإذن الله تعالى.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

٣ - من الحبوة اي العطية ، وهي تزيد على العطية بجانبها الروحاني او العاطفي او اللطف الخاص

٤ - بحار الانوار ج ٩٥ ص ٣٥٤